

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الإمام المهدي

مركز الدراسات المهدوية

" تحريرالخرطوم " مؤتمر الدراسات المهدوية الثاني كلية الإمام الهادي

يناير 2017م

إعداد/ الدكتور الجاك النور محمد الشيخ .

أستاذ مشارك

جامعة الامام المهدي

كلية الآداب

(أ)عنوان البحث : الأحكام والتشريعات التي صاحبت حصار الخرطوم

(ب)أهداف البحث :

يهدف البحث إلى معرفة:.

1 / لمحة مضيئة عن الإمام المهدي .

2 / ما تحكم به الخرطوم قبل الحصار.

3 / الأحكام والتشريعات أثناء الحصار.

4/ مقارنة اجتهادات الإمام المهدي الفقهية بالمصادر التشريعية.

(ج) منهج البحث :

اتبعت في كتابة هذا البحث المنهج التحليلي والوصفي التاريخي .

مستخلص البحث:

تضمنت هذه الدراسة التعريف بالإمام المهدي مولدا ونشأة وطلبا للعلم نبوغا وتفوقا.

اهتمامه بتوحيد أهل السودان وإقامة الدولة المسلمة طردا للمستعمر .

تشريعات المهدي المتضمنة إحياء الكتاب والسنة المقبورين واجتهاداته الخاصة المدعومة

بالإلهام الإلهي والحضرة النبوية . وإلغاء المذاهب والاعتماد على منشوراته وراتبه .

ثم إعداره فيما بدأ من خطأ في بعض اجتهاداته , ورفع الملام عنه ؛ لانشغاله بالأمر

الحربية وتأسيس الدولة لقصر الفترة الزمنية.

abstract

This study included a definition of the Imam Mahdi, and the emergence of a generator and application of science and Nboga superiority

Interest in unification of the people of Sudan and the establishment of a Muslim state parcels colonizer

Mahdi legislation included the revival of the Quran and Sunnah Almqpourin of his efforts and subsidized private divine inspiration and Hadra prophetic. And the abolition doctrines and rely on his publications and his salary

Then Excuses began with a mistake in some of his efforts, and raise blame him; the preoccupation with matters of war and the establishment of the state of the short time period

(د) خطة البحث:

اشتمل هذا البحث على :

المبحث الأول : لمحة مضيئة عن الإمام المهدي .

المبحث الأول: توطئة : المهدي التربية والنشأة والتعليم والمعتقد:

المطلب الأول: نشأة الإمام المهدي تربيته.

هو محمد أحمد بن عبد الله . وُلد بجزيرة لبب, بمدينة دنقلا في شمال السودان عام 1260هـ. الموافق 1844م بجزيرة الأشرف لأسرة من الدناقلة , تنتسب إلى سلالة الحسن بن علي حفيد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وجده حاج شريف بن علي (أبو العشرة جد المئة) كان قد ذاع صيته كرجل صالح في جزائر الأشرف بلبب وهو مدفون بها . وأبوه السيد عبد الله بن فحل , اشتهر بحرفة صناعة المراكب وانتقلت إليه عمادة الأسرة .

نشأته:

انتقلت الأسرة وهو طفل إلى بلدة كرري شمال أم درمان حيث توفي والده بعد وصولهم بقليل ودفن في وادٍ عُرف باسم (وادي سيّدنا) نسبة لوالدهم عبدالله وكلمة (سيّدنا) تطلق في الأدب الشعبي السوداني علي الشيخ أو الفقيه صاحب الخلوة الذي يعلم طلابه القرآن الكريم والعلوم الإسلامية. وبعد وفاة والده كفله شقيقاه محمد وحامد واللذان استمرا في تجارة صناعة المراكب كشأن والدهما . ثم انتقلت الأسرة للإقامة بمدينة الخرطوم لوقت وجيز حيث توفيت والدتهم زينب بنت نصر ودفنت في الضريح القائم اليوم بالقرب من مستشفى الشعب التعليمي¹.

المطلب الثاني : شيوخه ونبوغه في العلم.

أبان محمد أحمد عن شغف مبكر ونبوغ في تلقي العلم والتبحر في علوم الزهد والتصوف وشجعه علي ذلك شقيقاه ويسرا له السبل فالتحق بخلوة الشيخ الفقيه الهاشمي بكرري وحفظ القرآن

¹ - البروفيسور موسى عبدالله حامد، تبصرة وذكرى، «سياحة في راتب الامام المهدي، الدار السودانية للكتب , الخرطوم 1997م.

الكريم وهو في سن مبكرة . ومن ثم انتقل الي خلوة الشيخ الأمين الصويلحي بمسيد ود عيسي بالجزيرة حيث أصاب قدرًا من العلوم الشرعية. ودفعه شغفه للمزيد من التحصيل إلي الالتحاق بخلاوي الغبش بمدينة بربر فالتحق بالشيخ محمد الخير عبدالله خوجلي تلميذاً وهو دون العشرين². ويصف الباحث المصري الدكتور عبدالودود شلبي فترة المهدي بخلاوي الغبش قائلاً : لقد أدرك في تلك السن المبكرة من العلوم ما لم يدركه أنداده ، فقد حفظ القرآن وجوده ولم يفته الصرف والنحو والفقه و التصوف والتفسير ، وأولع بالأدب والعلوم العقلية فدرس الفلسفة والعلوم الطبيعية والمنطق وعرف الغزالي وابن رشد وابن سينا وغيرهم من علماء المسلمين, ووجد بخط يده ما يفيد بأنه قرأ نسخة من كتاب تفسير الجلالين أكثر من سبعة وسبعين مرة علي مشائخ مختلفين . ويتحدث الدكتور عبدالودود شلبي عن مثالية سلوك المهدي كتلميذ في خلاوي الغبش حين يقول : (كان لا يأكل من الطعام المقدم لطلاب الخلوة ؛ لأن مصدره من مال الحكومة التي تجمع أموالها عن طريق أئقال كاهل الأهالي بالضرائب الباهظة فيترقب رسالة أهله ليدفع عن نفسه غائلة الحاجة والجوع ثم ينتهي به الأمر إلي أن يتصدق بالمال كله ويعتمد علي نفسه بالخروج الي الغابة لقطع الأخشاب وبيع ما يقدر علي حمله منها إلي السوق فيأكل ببعض ثمنه ثم يتصدق بالباقي علي الفقراء)³

لقد كان لفترة دراسته بخلوة الشيخ محمد الخير الأثر الأكبر علي مستقبل الثورة التي سيقوم بها لاحقاً وستكون سيرته الحسنة الدافع الأكبر لشيخه محمد الخير لبياعه ويتبع تلميذه القديم حين يعلن ثورته ضد الحكومة الاستعمارية القائمة فيكرم التلميذ شيخه ويقلاه إمارة شمال السودان ويقود مع عشيرته في بربر ومجموعة من قبائل شمال السودان جيوش الثورة المهدي التي قاومت الجيش البريطاني بقيادة الجنرال (ولزي) فيوقعون بهم خسائر تدفعهم دفعاً إلي الانسحاب من السودان دون تحقيق أهدافهم المتمثلة في إنقاذ الجنرال غردون.

² - البروفيسور موسي عبدالله حامد , تبصرة وذكرى ,سياحة في راتب الامام المهدي, الدار السودانية للكتب , الخرطوم 1997م,ص 22-23.

³ -- الدكتور عبد الودود شلبي, الأصول الفكرية لحركة المهدي السوداني ودعوته ، دار المعارف ، القاهرة

التحق بالطريقة السَّمانية وتتلَّمذ على الشيخ محمد شريف نور الدائم عام 1871م وتقدم بسرعة في مسالك الطريق . ثم انتقل ليعيش حياة الزهد بقرية الجزيرة أبا بمنطقة النيل الأبيض حيث تزوج ببنت عمه فاطمة بنت الحاج . وأسس مسجداً وخلوة أو مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم الفقه والعلوم الإسلامية واشتهر بين سكان المنطقة بالاستقامة والورع فتدافع نحوه المريدون ومنهم الشيخ علي ود حلو والذي سيصبح أحد خلفائه الثلاثة فيما بعد وشقيقه الأصغر الشيخ موسي ود حلو . كما توافدت وفود من قبائل منطقة النيل الأبيض كقبائل دغيم وكنانة والكواهلة والحسنات والهبنانية والحسانية. يقيمون معه يتعلمون من علمه. و جاء أشقاؤه الثلاثة محمد وحامد وعبدالله للإقامة معه وعملوا علي الاستفادة من خشب غابات المنطقة في تجارة صناعة المراكب التي برعوا فيها⁴.

استمر بزيارة شيخه حتى اختلف معه لاحتماله بختان أبنائه بصورة لم يتقبلها تلميذه الزاهد فطرده الشيخ وأقصاه، وقيل إن من أسباب طرده أن التلميذ الجديد بدأ يقصده المريدون أكثر من شيخه مما أثار حنق أستاذه عليه وقال نعوم شقير إن سبب اختلافه معه هو قيام تلميذه بدعوي المهديّة. وعلي الرغم من اختلاف الشيخ محمد شريف نور الدائم مع المهدي إلا أنه لم يكن يشكك أبداً في ورعه وزهده واستقامته وقد عاش محمد شريف نور الدائم طويلاً بعد انتهاء الدولة المهديّة وشهد عودة الاحتلال الإنجليزي للسودان فلم يغيب تلميذه عن ذاكرته وأنشد أبياته المشهورة يصف فيها حال المهدي حينما كان تلميذاً في طريق التصوف :

كم قام ، كم صلي وكم تلي ... من الله ما زالت مدامعه تجري

وكم بوضوء الليل كبر للضحى ... وكم ختم القرآن من سنة الوتر

وبعد خلافه مع شيخه التحق بالشيخ القرشي ود الزين بمنطقة الحلاوين في الجزيرة وهو منافس للشيخ محمد شريف في الطريقة السمانية وكان يتفوق عليه بأنه أخذ الطريقة السمانية مباشرة من الشيخ أحمد الطيب البشير
رحب الشيخ القرشي بتلميذه الجديد ورد علي مطالبة الشيخ محمد شريف له بطرده من الطريقة

⁴ -- الأستاذ عبدالرحمن إبراهيم الحلو ، الخليفة علي ود حلو صاحب الراية الخضراء ، شركة مطابع السودان للعملة ، الخرطوم 2012م

بالعبارة التالية : (إنني رأيت الشيخ محمد أحمد مستحقاً ومنع المستحق ظلم)⁵.
ومضي الشيخ القرشي في ترحيبه بمحمد أحمد المهدي إلي أبعد من ذلك حينما زوجه بنته السيدة
النعمة والتي ستصبح والدة ابنه علي.

في أثناء عمله ببناء قبة على قبر شيخه التقى بعبده الله التعايشي الذي أخبره كما أخبر
الزبير باشا ومحمد شريف نور الدايم من قبل بأنه رأى رؤيا خلاصتها أنه المهدي المنتظر وأن
عبدالله هو حواريه الأول ونشأت بينهما صداقة وثيقة وفيما بعد سيكون خليفته في الدعوة المهدية
. كما جمعه ديار الحلاوين بالشيخ عبدالرحمن القرشي ود الزين والشيخ محمد الطيب البصير
والشريف أحمد الكوكلي والشيخ عبد القادر إمام ود حبوبة ، وقيل التقى فيها أيضا بعبده الرحمن
النجومي ومحمد عثمان أبو قرجة وعدد آخر مقدر من الرجال الذين سيصبحون القوام المبكر للثورة
المهدية 6.

المبحث الثاني : ما تحكم به الخرطوم قبل الحصار.

مما لا شك فيه أن الشعب السوداني المسلم يتعبد الله تعالى في كل مناحي حياته
بالشرع الحنيف ، بما في ذلك الخرطوم التي تعاني وتئن تحت ووطأة المستعمر . فالشعب
والمواطن السوداني جعل بيته وقلبه قبله كما قال الله تعالى : (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّأْ
لِقَوْمِكَ بِمِصْرَ بَيْوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ)⁷.

لكن الحاكم الغاصب المستعمر كان يحكم بالقوانين الوضعية لا يعنيه دين الإسلام ولا المسلمين
المحكومين بشيء بقدر ما كان همه نهب وسلب خيرات البلد واستعباد المواطن السوداني ..

فنستطيع القول بأن الخرطوم تحكم بغير ما أنزل الله برغم الشعائر التي كان يطبقها
الفرد في نفسه ومعاملاته .

⁵ - الصادق المهدي يسألونك عن المهدية ، دار القضايا ، بيروت ، 1975م.

⁶ - عصمت زلفي الخليفة (السنوات الأولى 1846-1885) ، دار كرري للطباعة والنشر - ام درمان
1994م.

⁷ سورة يونس الآية 87

المبحث الثالث : الأحكام والتشريعات أثناء الحصار .

المطلب الأول : في المعاملات .

من أحكام الأرض :

بالنسبة للأطيان تكون الأرض تابعة لصاحبها بموجب الإقرار والشهادة الأمانة : مالم يكن الاستيلاء وضع اليد زائداً على السبع سنين للحاضر , وأما الغائب فتسمح له الدعوة إلا إذا حضر نحو هذه المدة فإن زاد على السبع لا تسمح المدة . وأما بالنسبة للاستيلاء غير الأطيان فتسمح من وقت فتوح المديرية وأما قبل الفتوح يصير رفعها ولا تسمح ⁸ .

الساقية إن كانت لرجل واحد فتؤخذ منها الزكاة إذا بلغت ما فيه النصاب كالمشروع . فإذا كانت لجماعة مشتركين فيها وتؤخذ الزكاة من جملتها وإن كانت لجماعة مشتركين فيها ولكن كل واحد منهم سائق لنفسه ببهائمه وخدامه ومتفرقة خدمة الجميع وكل منهم ينتج لنفسه فتؤخذ زكاة كل واحد منهم وحده إذا بلغ النصاب الشرعي وصاحب الطين له ما يتراضون به ⁹ .

ملكية الأراضي والعقارات :

منه إلى كافة أحبابه في بربر 7 صفر 1302 هـ - 26 نوفمبر 1884 م :

من كان يملك مساكن أو أراضي أو نخيل وواضع يده عليها لمدة طويلة (ست وستون سنة مثلاً بلا منازع) تثبت ملكيته لها ، وكذلك من كان مالكاً لعقار وواضع يده عليه مدة سبع سنوات فقط بلا معارضة تثبت ملكيته له كذلك ولا تجوز منازعته فيه ¹⁰ .

أمر المهدي أن يخلي الإخوان جميع المواضع التي تنتج منها المصالح ولا يعرض لها أحد من الأنصار كجميع الدكاكين والوكالات والقصيريات والعصاير والطواحين والبنوك التي كانت بساحل البحر للإيجار ولو كانت مسكونة فيخرج منها من هو ساكن بها ويمكن للسكان بتلك

⁸ الآثار الكاملة للإمام المهدي ، المجلد الرابع ، من خطاب الي محمد عبد الله الخوجلي 3 صفر 1302 هـ ص 56

⁹ د . محمد ابراهيم ابو سليم . الآثار الكاملة للإمام المهدي ، المجلد الرابع ، ص 212 .

¹⁰ الآثار الكاملة للإمام المهدي ، المجلد الرابع ، ص 84 .

الجهات ان يتدارك له مسكنا بنحو الشكايب ¹¹ . يضاف لبيت المال كل الميري وبيوت الكبار والذوات من التجار ومستخدمين الديوان. وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ¹²

المشارع :

من المهدي الى كافة أحابيه وأعوانه في الدين يقرر وجوب دفع أجرة المراكب 8 جماد آخر 26 مارس 1885م .

أن يعطي الأجرة كل أحد دخل في المراكب , معاشاً او غيره وأن يعطي الأجرة كاملاً صغيراً أو كبيراً غنياً او فقيراً ، إذ أن كل درهم من أجرة المراكب يشترك فيها جميع المسلمين , فإن لم يعط الأجرة خاصمه جميع المسلمين يوم القيامة , وكذلك المؤجر ولو كان مسكيناً له حق في بيت المال, وأيضاً حق المراكبية القائمين بصلاح الجميع. على كل مؤمن بالله ورسوله ومهديه أن يدفع الأجرة في المراكب وإن دخل فيها ربع ارب ¹³

إدارة الجنائن

من خطابه إلى أحمد محمد حاج شريف بعد 9 ربيع الثاني 1302هـ_27يناير 1885م انا أن تقوم بنظارتها وتقوم لكل جنينة قيم يقوم شأنها وتخرج من لم يوافق وتقيم عليها من يوافق مع الشورى في مع أمين بيت المال أحمد سليمان كونه المنوط بذلك ¹⁴.

التكبية :

اهتم المهدي بالعمايا فأمر بجمعهم وعمل تكية لهم من بيت المال ورتب لهم المونة باعتبار ربع غلال لأربعة أنفار في اليوم ، وخدم لصناعة مأكولهم ، وعبيد ، وجمال لجلب المياه لمشروبهم ، ومصاريق في كل كم يوم خمسة وستة ريال ، ورتب لهم كسوة ، وإمام لإقامة الصلوات الخمس حتى تحسن حالهم ويزول ضعفهم . ولما اعتدلت حالهم صاروا يبيعون العيش

¹¹ الأثار الكاملة للإمام المهدي ، المجلد الرابع ، الي كافة الاتباع والأنصار والاعوان, 9جماد اخر

1302هـ_27مارس 1885م ص413

¹² الأثار الكاملة للإمام المهدي ، المجلد الرابع ، 9جماد اخر 1302هـ_27 مارس 1885م ص417

¹³ الأثار الكاملة للإمام المهدي ، المجلد الرابع ، ص410_411

¹⁴ الأثار الكاملة للإمام المهدي ، المجلد الرابع ، ص253

خفية ولم تستقم لهم حالة . ومن ذلك بادي منهم كثرة التضرر والسؤال ولم يطيقوا المكث ببيت المال . وعند ذلك أخرجهم أمين بيت المال لرغبتهم للنفقة عليهم بالخارج أسوة بالمساكين ، فما كان منهم إلا أن اتجهوا بالشكوى للمهدي حتى صدر الأمر شفاهي براحتهم . وعند ذلك خابرههم محمد بشير فيما يكف شكواهم فرغبوا منه الواحد في اليوم نصف ربع عيش

هذا وبما أن المذكورين تجاوزوا الحد ولم يكتفوا بكثير ولا بقليل . فلأجل رفع تضررهم ربط للفقير منهم في الأسبوع نصف ريال . فإن كان ذلك صواب الحمد لله وإلا فما تأمرونا به الأمر متبع¹⁵ .

أجاب المهدي بأن لا يضجروا منهم بل يجروا عليهم سابق ما هو مجرى عليهم مع ما زاده لهم الحبيب ولد بشير ومن معه سترًا للحال وحسماً لإكثار السؤال. وبعد هذا فلتسد عليهم الطرق و لا يخرجوا ولا يتكلموا زيادة مما ربط لهم¹⁶ .

سندنا ووصلتنا إلى ربنا : الإخوان العمياوين أدخلهم أمين بيت المال الزريبة وعين لهم مقداراً معلوماً يعطى لهم كل يوم ، فبعد أن مضى عليهم يومين أو ثلاثة طلبوا منا أن نزيدهم على ذلك ، وتلطفاً بحالهم وخوفاً من تشكيهم على سيادتكم أجرينا زيادتهم بدون علم أمين بيت اللمال ، وهكذا ففي ظل قليل من الأيام يطلبوا منا أن نزيدهم ، ونحن حسماً لعدم تشكيهم نعطيهم ما يطلبونه حتى بلغ ذلك ثمانية أرباع تعطى لهم عن كل يوم ولم يزالوا في ازدياد . والحال أن جملتهم أربعة وعشرين نفر. وحسب المقتن عندنا للفقراء بالزريبة نعطي الثمانية أرباع لثمانين فقير كل يوم . ومع ذلك ففي كل جمعة نعطيهم ريال للإدام . وكل ذلك خوفاً من وقوفهم على سيادتكم ومشغوليتكم . فما نشعر إلا وقد شكوا على أمين بيت المال . ولما سألنا أمين بيت المال من ذلك عرفناه بحقيقة حالهم واتضح له طمعهم وما هم عليه صرف النظر من فضولهم بالزريبة كما كانوا وأمرنا بأن نعطيهم صرفيتهم كأمثالهم المساكين وبمعرفتهم يتعيشوا حيث أنهم لا زالوا يتشكوا ومتسببين في مشغوليتنا من ترويج مبايعات بيت المال وإدخال ما يريح المسلمين

¹⁵ الاثار الكاملة للإمام المهدي ، المجلد الرابع ، من أحمد سليمان إلى المهدي ، 9 جماد أول 1302 هـ 25 فبراير 1885 م ، ص 330 - 331 .

¹⁶ لآثار الكاملة للإمام المهدي ، المجلد الرابع ، من المهدي إلى أحمد سليمان ، 9 جماد أول 1302 هـ 25 فبراير 1885 م ، ص 332 ..

فيه وبذلك أخرجناهم من الزريبة وأعدناهم براحتهم كأقرانهم ، وأمين سيادتكم المجذوب حاضر على إقرارهم بإعطائنا لهم العيش زيادة عن كفايتهم¹⁷ .
أيد المهدي هذه الإجراءات بخطابه إلى أحبائه وأصفيائه بالتاريخ السابق ، انظر صفحة 335 .

أهل مدينة الخرطوم الذين يخرجون من المدينة وينضمون إلى المهدي تحت ضغط الجوع والحاجة صلح حالهم . وتم حصرهم أربع آلاف وستمائة وتسعة وتسعون نفر ، ببيان الأسماء والقبائل راية راية جاري الصرف لهم¹⁸ .

إلى أحمد سليمان في 14 القعدة 1302 هـ (1885/8/25م) تلغرافك المحرر لي بتاريخ 14 هذا الشهر قد وصل وفهم . إن القيام بتنفيذ الأوامر العمومية الصادرة في المصالح الدينية من الأمور المهمة التي حض عليها الشرع المحمدي . إنني من مدة نبهت غير ما مرة بعدم تهديم منزل واحد من منازل الخرطوم على وجه العموم من غير استثناء ، وأكدت في ذلك غاية التأكيد وأعلمتك بأنه إذا حصل من أي أحد هدم بيت واحد فإذا لم تستطع منعه خابرنى به . وما تركت لك في هذا الخصوص شيئاً . وقد كنت أظن أنك تقوم في تنفيذ هذا الأمر بهمة عالية ولكن بحضوري الخرطوم ومناظرتي إليه وجدت كثير من المنازل مهدوماً بل وجدت البلد في بعض المحلات صار خراباً . وكل ذلك حصل وأنت بالبلد لا منعت من ارتكب ذلك ولا أخبرتني بأقل شيء في هذا الخصوص . على أنه لم يخف على الله أمر الناس الذين أجروا ذلك لما أنه ظاهر على مساكنهم ، وقد كان الواجب عليك واللائق بحالك الاهتمام بتنفيذ هذا الأمر أول صدوره لما أنك تعلم أنه لا قصد لي غير ما فيه مصلحة الدين العمومية وحق تلغرافك هذا يأتي مني منك أولاً قبل خراب البلد لإمكان المداركة وإجراء ما فيه الإصلاح والمساواة بين المؤمنين . ونعلمك أنك كنت في مبدئ الأمر من أجل الأصحاب المتمسكين بمقتضى العمل بقوله صلى الله عليه وسلم : المؤمن يحب لأخيه كما يحب لنفسه . وحوالك مع الإخوان المنتمين إلينا كافة محمود وسائر معهم بغاية المحاببة والمحاننة في الله . من مدة أرى منك الانقباض من جهتهم وعدم تمكن محبتهم من قلبك واضمارك عليهم خلاف ظاهرهم معهم وعدم تعهد أحوالهم وتضررك

¹⁷ الآثار الكاملة للإمام المهدي ، المجلد الرابع ، من محمد بشير ويوسف سليمان وأحمد السني إلى المهدي ، 9 جماد أول 1302 هـ 25 فبراير 1885 م ، ص 333 - 334 .

¹⁸ الآثار الكاملة للإمام المهدي ، المجلد الرابع ، من أحمد سليمان الي المهدي 26 صفر 1302 هـ _ 15 ديسمبر 1884 م ص116

وتأذيك من أقل شيء يقع من جهتهم مع أنهم الأصحاب الذين قاموا في نصرة الدين وقت العسرة وليس لهم تعرض لأمر الدنيا ومتحفظين من جميع ما يدخل على الإخوان أمثالك جرحاً. مع علمي بما أنت عليه من جهتهم صافح عنك الصفح الجميل ومحسن بك الظن ومنبه على كافة من ينتمي إلي بمراعاتك وتحسين الظن بك ونزاهة الطرف عند التطلع إلى شيء من هذا المتاع الفاني. فلذا لم أعتبك في شيء أجريته عليهم من جهة ، وسامحتك في جميع ما مضى ولازلت إلى الآن في مسامحة من جهتي نظراً لكونك من الأصحاب السابقين ، ولكن لما أرى من تماديك على هذا الأمر الذي يعود عليك بالضرر أحببت أن أذكرك في الله محبة لإيصال الخير لك وإرشادك إلى ما فيه صلاح حالك. راجع نفسك إذا وجدتها على حب إخوانك المذكورين وكن معهم كحالتك السابقة وعاملهم بالرفق والملاطفة والمحاببة والمباشرة الطيبة وحسن الظن والخلق. ينبغي أن تقيدي بعدد المنازل التي هدها عبد الرحمن الجعلي لإدراكها وأجري ما يوافق بخصوصها¹⁹.

المطلب الثاني : الأحوال الشخصية .

من أحكام النساء :

قال المهدي عليه السلام إن القاضي إما أن يحكم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وإن التبس عليه الأمر فليسألنا نحن ربنا يلهمنا الصواب فنكلمه به ثم يحكم²⁰. والاختلاط مع النساء وعدم الستر من النساء وفعل الفواحش من الزنا والنطق بها²¹.

وحكم عليه السلام برجم امرأة محصنة تزوجت في عدة زوجها²².

(قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ...) 23. وجب أن نحجر جميع النساء من الخروج والمشي بطرقات الرجال الذين لا عصمة لهن إلا بهذا الحجر ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : باعدوا بين انفاس الرجال والنساء ، وقال لابنته فاطمة

¹⁹ د . محمد إبراهيم أبو سليم ، محررات الخليفة عبد الله ، المجلد الأول ، ص 332 – 334

²⁰ د . محمد إبراهيم ابو سليم ، الآثار الكاملة للإمام المهدي ، المجلد السابع ، المجلس الأول، ص 249 .

²¹ د . محمد إبراهيم ابو سليم . الآثار الكاملة للإمام المهدي ، المجلد الأول ، 21 ربيع أول 1299 هـ - 10 فبراير 1882 م ، ص 115 ،

²² د . محمد إبراهيم ابو سليم . الآثار الكاملة للإمام المهدي ، المجلد السابع ، ص 231 .

²³ - سورة النور الآية 30 .

(ما أحسن ما تكون عليه المرأة؟ فقالت: (ألا يراها رجل وألا ترى رجلاً فقال ذرية بعضها من بعض)²⁴ .

لذلك أن نمنع النساء جميعاً من الخروج إلى الأسواق والطرق إلا بنت صغيرة لا تشتهي أو متجالة ومن انقطع إرب الرجال عنها غالباً وحتى الاماء الشباب يمنعون من الخروج، إلا في محل لا يكون به رجال . ومن خرجت بعد هذا التنبه بثلاثة أيام تضرب مائة صوت زجرًا لها وعبرة لغيرها²⁵ .

من يتزوج تكون وليمته بتمر كوليمة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم او مع طعام كوليمة أم المؤمنين , ومن لم يقدر ولم يطق قلبا كما ذكرت فلا يزيد على خروف, وذلك إسراف . ولا تزداد العذبة على خمسة ريال ولا البكر على عشرة ريال واللباس لا يزيد على ثوبين . وكل ذلك خروجاً من المباهاة وحب الدنيا . فما زاد على ما ذكرت_ مادام إن المال لله ومبذول للجهد في سبيل الله وعليه البيعة_ فلا يخلو من سرقة حيث لا إذن منا على ذلك ولازم أن يؤخذ منه للمساكين والمجاهدين في سبيل الله²⁶ .

إن كل امرأة تخلفت بإحدى القفرتين (الأبيض وبارا) بعد خروج زوجها وانضمامه إلى الأنصار المحاصرين أو حضوره لطرفنا فهي طالق . وكل من هاجرت ولو بالانضمام إلى الأنصار كما مر وتخلف زوجها عنها فهي طالق . فينبغي أن تجددوا عصم نساءكم السابقات والمتأخرات عنكم في الخروج ولا تعولوا على العصم السابقة وتقيموا معهن بدون تجديد إن ذلك محظور²⁷ .

²⁴ - خلية الأولياء 41/3

²⁵ منشورات , ص 298_299 , منشور كن المهدي في حجر النساء , 18 جماد الاول_1301هـ_ 16

مارس 1884م

²⁶ منشورا ص 300, منشور مكن المهدي في تخفيض نفقات الزواج , 12_1300_12 نوفمبر 1882م_1 نوفمبر 1883

²⁷ منشورات المهديّة , تحقيق د: محمد ابو سليم, دار الجيل بيروت, ط2, 1979م , ص305 منشور المهدي عن عصم زوجات الذين كانوا بمدينتي الابيض وبارا قبل أن يتم فتحها والازوم تجديد العقد , 13 القعدة 1300_ 15 سبتمبر 1883م

من المهدي الى عملائه ونقبائه وأنصاره بديم الهوج يمنع زواج الأنصار من النساء الخارجات من ققرة الخرطوم 18 ربيع اخر 1302 هـ _ 5 فبراير 1885م: ان كل من لها زوج تسلم له, وكذلك من لها ولي محرم تسلم له بالضمان والباقيات يسلموهن للمؤمن حتي نرى حكم الله فيهن .

الناشزة والكارهة لزوجها , فإنها ترد كل ما كان دفعه الزوج من صداق غيره, وأن يعفي عنها لا باس بها ولا فائدة فيه .

المرأة التي تكون خارجة (من) الققرة وزوجها فيها ... إلخ. فان كانت مسلمة مهاجرة فهي طالقة عن زوجها بصداقها . لقوله تعالى : (إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات...).

من كانت له جارية وحبسها حتى استولدها ومات ولدها ثم اعتزل عنها فولدت من المماليك إلخ لا بأس بخدمتها له برضاؤها ولكنها هي حرة وما ولدته من المماليك بعد استيلادها من سيدها احراراً مثلها 28 .

النساء ذوات الصغار وليس لهن من يخدمهن يجوز خروجهن لقضاء حوائجهن ... إلخ , إذا كنا متجالات وانقطع إرب الرجال منهن أو لا يخشي منهن فتنة فلا بأس من خروجهن بعد تسترهن بثياب الساترات, وإلا فلا ²⁹.

(في فتوى من قاضي الإسلام في الطلاق) إن الحرام والطلاق اذا وقع الحنث من الحالف فيه فيهما فلا يلزمه فيه سوى الأدب وكفارة اليمين , ولا يحرمان الزوجة وانما يلزم فيه كفارة وهي طعام عشرة مساكين أو صوم ثلاثة ايام ³⁰.

منه إلى كافة أحبائه في الله 11 رجب 1302 هـ _ 26 ابريل 1885م: بعد اطلاعكم على الأعراض باطنه المقدم لطرفنا من كريمة الزبير ولد رحمة بالتماس العفو عنها وعن زوجها وإخوانها وأخواتها وجميع دائرتهم الخصوصية المنسوبة لوالدهم ولحقوقهم, فلا يكن لأحد منكم

²⁸ د . محمد ابراهيم ابو سليم ، الآثار الكاملة للإمام المهدي ، المجلد الرابع ، ص 212.

²⁹ د . محمد ابراهيم ابو سليم . الآثار الكاملة للإمام المهدي ، المجلد الرابع ، ص 213 .

³⁰ منشورات المهديّة ، تحقيق د: محمد ابو سليم، دار الجيل بيروت، ط2، 1979م ، من خطاب إلى محمد الطيب

البصير عن بدء المهديّة ، ص210

تعرض على المذكورين .. في خاصة أنفسهم ولا في حقوقهم الخالصة بوجه ما , نظراً لعفونا عنهم وعملاً بقوله صلى الله عليه وسلم: أكرموا عزيز قوم ذل وغني قوم افتقر³¹. المذكورين كانوا كراماً وأذلهم الترك .. والدهم مزموم بالبعد عنهم بيد أعداء الدين³².

وإذا رأى شهود العورة والمقاربة من غير أن يروا الذكر في الفرج اشتبه بالمواسات أو غير ذلك لزم ضربه زجراً له من هذا الفعل ويكون نحو المائتين والخمسين سوطاً أو المائتين³³.

رأي الباحث :

من الملاحظ أن هذه الأحكام والتشروعات التي أصدرها الإمام المهدي تأخذ أحكام الاجتهاد وهذا في الإسلام جائز للحاكم أن يعزز تعزيراً ما يفوق الحد . وقد منح لنفسه هذا الحق لاغياً للاجماع والقياس من الأدلة الشرعية المتفق عليها .

ويلاحظ هنا أن الإمام الهدي استثنى وقدّر حاجة ذوات الصغار والمتجاللات بحكم الضرورة للخروج .

أما هنالك بعض الاجتهادات فقد خالفت النصوص كحكمه برجم امرأة محصنة تزوجت في عدة زوجها³⁴.

فهذا ليس بزناً صراحة إنما هو نكاح شبه يجب فيه التعزير لا الرجم .

التبّاك :

من شرب الخمر واستعمل التبّاك يضرب ثمانين سوطاً ، فإن لم يرتدع يحبس ويزجر ، وإن لم يرتدع لا مانع من تأديبه بأخذ بعض ماله ، فإن لم يرتدع لا بد من تغنيمه زجراً له وعظة لغيره³⁵. قال عليه السلام أخبرني النبي صلى الله عليه وسلم فقال لي شارب التبّاك ذنبه أثقل

³¹ - السيوطي الجامع الكبير 1/3454 هنالك تصحيف (ارحموا بدل أكرموا) .

³² الآثار الكاملة للإمام المهدي ، المجلد الرابع ، ص462

³³ محمد إبراهيم أبو سليم، الآثار الكاملة للإمام المهدي، دار جامعة الخرطوم للنشر، 1990م ، المجلد الأول ، 1300هـ 12 نوفمبر 1882 و1 ديسمبر 1883م ، ص 446 .

³⁴ د . محمد إبراهيم أبو سليم . الآثار الكاملة للإمام المهدي ، المجلد السابع ، ص 231 .

³⁵ ص 254 .

من شارب الخمر ؛ لأن شارب الخمر يضرب ثمانين سوطاً وشارب التبناك يضرب مئة سوطاً³⁶. قال عليه السلام إن التبناك أشد من الخمر وفساده شديد³⁷.

وأما لعب المنقلة والطاولة والطاب فيؤدب بحسب اجتهاد الحاكم³⁸

رأي الباحث:

أيضاً من الملاحظ أن الإمام المهدي جعل عقوبة متعاطي التبناك حداً أكبر من حد الخمر أم الكبائر بدعوى رأياً منامية رأى فيها النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بهذا الحكم . وهذا الفهم مخالف لاجماع العلماء في أن الرؤى لا ينطبق عليها حكم تكليفي إلا رؤى الأنبياء والرسول عليهم السلام.

المطلب الثالث : في الغنائم والسبايا.

التعامل في الرقيق

من خطاب المهدي إلى أحمد سليمان بتاريخ قبل 23 ربيع آخر 1302 الموافق 10 فبراير 1885م :إرسالك لما كان من ثمن الرقيق الذي هو 18 ألف ، وبيانك الجيوش الكثيرة التي تطلب الصرف مع قلة إيراد بيت المال . ما وجدت فأعطه لهم حسب الإحسان ، وما لم تجد فقل لهم بالتتي هي أحسن . ما وضع الرفق في شيء الا زانه وما وضع الخرق في شيء إلا شاناه . فإنما أنت سبب³⁹.

من أحمد سليمان إلى المهدي 28 ربيع آخر 1302 الموافق 15 فبراير 1885 م الرقيق الذي تجمع في تلك الأيام من غنائم الخرطوم تكاثر ببيت المال ، وقد صرف عليه ما ينوف عن الألفين ريال في خاصة المعاش فضلاً عن زيادة المشغولية بسببه ... نأمل إرشادنا بما يوافق

³⁶ ص 254 .

³⁷ د . محمد ابراهيم ابو سليم . الآثار الكاملة للإمام المهدي ، المجلد السابع ، المجلس الأول ، ص 230.

³⁸ د . محمد ابراهيم ابو سليم . الآثار الكاملة للإمام المهدي ، المجلد الرابع ، من خطاب الي الجعليين المقيمين

بجة القصارف 25 صفر 1302 هـ _ 14 ديسمبر 1884م ص109

³⁹ الآثار الكاملة للإمام المهدي ، المجلد الرابع ، ص 297-298

إجراه فيه سوى أن كان ببيعه أو بتوزيعه على جهات لتصرفه وانتفاع المسلمين بتوريد أثمانه لبيت مالهم .

من المهدي إلى الخليفة عبد الله يشير إلى عرض أحمد سليمان في الخطاب السابق بتاريخ 28 ربيع آخر 1302 الموافق 15 فبراير 1885م : أكتب إلى أحمد سليمان أمين بيت المال تأمره بأن يوزع الرقيق على الجيش ولو يكن للعشرة أنفار والعشرين نفر راس حسب الموجود حسب تنزيل المجاهدين بالدفاتر⁴⁰.

منه إلى عبد الرحمن النجومي 23 رجب 1302هـ_9 مايو 1885م . ورد لطرفنا خطابكم المؤرخ 8 رجب سنة تاريخه وما ذكرته في أمر الخمسة عشر جارية التي أجريتم تقسيمها على الإخوان بالنظر إلى الأوجه التي ذكرتموها بخطابكم فقد امضينا ما فعلتموه وقبلناه . حيث أنكم على جناح السفر وقد ذكرتم مراراً أنكم محتاجون لضرورة الجيش تشهياً وازالة ضروريات وقتية , عند الالتفات منهم لمثل ذلك مما يوجب شغل القلب بغير ما أنتم بصدده .

فتح الخرطوم

منه إلى محمود عبد القادر يفيد بفتح الخرطوم 12 ربيع آخر 1302هـ_30 يناير 1885م في حاشية وقد فاز بالشهادة عشرة من أصحابنا في هذا الفتح ولم يصيب الباقيين شيئاً من جراح⁴¹.

أهل مدينة الخرطوم الذين يخرجون من المدينة وينضمون إلى المهدي تحت ضغط الجوع والحاجة صلح حالهم . وتم حصرهم أربع آلاف وستمائة وتسعة وتسعون نفر , ببيان الأسماء والقبائل راية راية جاري الصرف لهم⁴²

⁴⁰ الآثار الكاملة للإمام المهدي ، المجلد الرابع ، ص 306

⁴¹ الآثار الكاملة للإمام المهدي ، المجلد الرابع ، ص 278

⁴² الآثار الكاملة للإمام المهدي ، المجلد الرابع ، من أحمد سليمان الي المهدي 26 صفر 1302هـ_ 15

ديسمبر 1884م ص 116

(بعد فتح الخرطوم) من المهدي إلى عملائه ونقبائه وأنصاره بديم الهوج يمنع زواج الأنصار من النساء الخارجات من ققرة الخرطوم 18 ربيع آخر 1302 هـ _ 5 فبراير 1885 م. ذوات الجواري والسراري من استلم منهن شيئاً يرجعه عند بيت المال⁴³ .

بنت وداعة لها زوج من مصر , وهي من المؤمنات المهاجرات , وقد برئت من زوجها , فلا يتعرض أحد لها بزوجها . وقد كتبنا في منشور إلى الأحاب بالخرطوم قبل قدومنا إليه أن المرأة المؤمنة المنضمة عليكم وزوجها بالقيقر أو مع الكفرة لا يكون حقها وصادقها غنيمة . فلا يتعرض أحد لمالها وصادق .

تقسيم الجهدية على الأمراء بعد فتح الخرطوم ، وما يخص راية الخليفة محمد شريف يضم لعبد الرحمن النجومي

الى الخليفة عبد الله بن محمد خليفة الصديق 17 ربيع آخر 1302 هـ _ 4 فبراير 1885 م : استحسننا تجميع العملاء الكائنين بجهات الهوي وتقسم لهم الجهادية بتعلق مدينة الخرطوم , كل أمير عشرين نفر . وما يخص بوارق ورد الخليفة محمد شريف يكون ضمه على عبد الرحمن النجومي جميعه لكي يكونوا عملاء محلا واحدا⁴⁴ .

أحكام:

محمد عثمان إبي قرجة إلى المهدي _ 21 ربيع أول 1302 هـ _ 29 يناير 1885 م ان بعض الإخوان كانوا تركوا زوجاتهم بققرة الخرطوم وهم خارجين وحالت بينهم المحاصرة والتحقوا بالمحاصرة للققرة , والآن زوجات كل منهم خرجنا من الخرطوم وحضروا لطرفنا لأزواجهن راغبين اجتماع حريمااتهم عليهم بعقد جديد كما أشار بذلك الكتاب يكون أن ذلك لا يتم إلا بنظر السيادة . نرجو صدور الأمر للعمل بموجبه⁴⁵ .

⁴³ الاثار الكاملة للإمام المهدي ، المجلد الرابع ، ص 287

⁴⁴ الاثار الكاملة للإمام المهدي ، المجلد الرابع ، ص 284

⁴⁵ الاثار الكاملة للإمام المهدي ، المجلد الرابع ، ص 273

من المهدي إلى محمد عثمان أبي قرجة ربيع أول 12_1302 هـ _29 يناير 1885م: لا باس بعقدهم على نسائهم الجميع الا ما لم توفي العدة المعلومة .أما من لم توفي العدة المعلومة والتي هي قرء واحد فلا تحتاج لتجديد عقدها ⁴⁶ وليكفيه السابق ⁴⁷ .

منه إلى حمد النيل حامد يقول: إن أخت فرج الزيني باشا لها بنت عندنا وأن أهلها أرادوا الأنصار خروجهن من الدلالة والمبيع, أرسلت إبراهيم الأمين إلى بيت المال ليرسل بهن إلينا ⁴⁸ .

الخاتمة :

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات . أحمده سبحانه على توفيقه وإحسانه على إتمام هذا البحث المتواضع ولعلي أكون قد ساهمت بكلمات في إبراز بعض الجوانب المشرقة لشخصية الإمام المهدي . واجتهاداته وفقهه في بناء دولة المهدي .

(د) النتائج والتوصيات :

من خلال الدراسة توصل الباحث إلى الآتي:

- 1 - الإمام المهدي من الشخصيات القيادية الفذة .
- 2 - الإمام المهدي من الأئمة العظام الذين قل أن يوجد بهم إلا نادراً .
- 3 - الإمام المهدي إمام فقيه عالم ترجم العلم والدين إلى سلوك فردي وجماعي واقعي بل إلى دولة راشدة على منهاج النبوة .
- 4 - في ظروف الحروب التي قادها الإمام ضد المستعمر لتحرير السودان لم يفت عليه وضع التشريعات الإسلامية البديلة لقوانين المستعمر التي كان يحكم بها البلاد .

⁴⁶ الآثار الكاملة للإمام المهدي ، المجلد الرابع ، الي انصاره واعوانه بالمتمة 10 رجب هـ 1302 هـ_26 ابريل

1885م، ص 461

⁴⁷ الآثار الكاملة للإمام المهدي ، المجلد الرابع ، ص274

⁴⁸ الآثار الكاملة للإمام المهدي ، المجلد الرابع ، ص190

التوصيات :

- 1- احترام وتقدير الإمام المهدي والدولة المهدية . وعدم النيل من المهدي وحمل ما بدر منه من أخطاء على الاجتهاد المغفور المأجور عليه .
- 2 - البحث والاطلاع في مخطوطات المهدية .
- 3 - التوسع في بسط البحوث والرسائل والدراسات في مناقب المهدي والمهدية لتربية الأجيال عليها.
- 4 - معرفة أصول المهدية ومقارنتها بالأصول الإسلامية .

المصادر والمراجع :

- 1 - القرآن الكريم .
- 2 - البروفيسور موسي عبدالله حامد، تبصرة وذكرى ،سياحة في راتب الامام المهدي، الدار السودانية للكتب ، الخرطوم 1997م .
- 3- البروفيسور محمد إبراهيم أبو سليم، منشورات المهدية، تحقيق دار الجيل بيروت 1979م.
- 4 - الدكتور عبد الودود شلبي ,الأصول الفكرية لحركة المهدي السوداني ودعوته ، دار المعارف ، القاهرة 1979م.
- 5 - الأستاذ عبدالرحمن إبراهيم الحلو ، الخليفة علي ود حلو صاحب الراية الخضراء ، شركة مطابع السودان للعملة ، الخرطوم 2012م
- 6 - الصادق المهدي يسألونك عن المهدية ، دار القضايا ، بيروت ، 1975م.
- 7 - عصمت زلفي الخليفة (السنوات الأولى 1846-1885) ، دار كرري للطباعة والنشر - ام درمان 1994م.
- 8 - أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري صحيح مسلم 133/2 دار الجيل بيروت ،دار الأفاق الجديدة . بيروت . ش
- 9 - أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري صحيح البخاري 2452/6.